سلسلة تفريغات

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

الدورة التأصيلية في علم العقيدة

المستوى الثاني

كتاب التوحيد

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المجلس السَّادس شرح كتاب التوحيد

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومَن سار على نَهْجه واقتَفَى أثره إلى يوم الدِّين. وبعد...

فهذا هو المجلس السَّادس من مجالس قراءتنا لكتاب [**التوحيد**] والتعليق عليه بما تيسَّر ضِمْن الدورة التأصيلية الأُولى لعلم العقيدة، ونحن في مساء الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني عام ١٤٤٤ من هجرة المصطفى ﷺ.

كنَّا قد وقفنا على قول المصنِّف الإمام المُجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابٌ مِنْ اَلشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ اَللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ**)؛ فنبدأ على بركة الله، ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا وإيَّاكم العلم النافع والعمل الصالح. والقراءة مع أبي أحمد.

المتن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

اللهمَّ اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرِين والمسلمين أجمعين.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابٌ مِنَ اَلشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اَللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ الآية [يونس: ١٠٦-١٠٧]

وقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ الآية [العنكبوت: ١٧]

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآيتين [الأحقاف: ٥-٦]

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]

وروى الطبراني بإسناده "أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عَزَّوَجَلَّ"

الشرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابٌ مِنَ اَلشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اَللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ**)؛ المقصود بالاستغاثة هنا: طلب الغَوْثِ، وهو: النجاة من المَهلَكة، والوصول إلى المفازة.

ولذلك يُسمَّى أيضًا المطر «غَيْثًا»؛ لماذا يُسمَّى المطر «غَيْثًا»؟ لأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يُغِيثُ به العباد، فيُنجِيهم من المهالِك (مهالِك الجُوع، والسنين، ومَهالِك الظمأ).

(**بَابٌ مِنَ اَلشِّرْكِ**). (**مِنَ**)؛ هنا: بيان الجنس، أي: بابٌ من جِنس الشِّرْك الاستغاثة بغير الله؛ وذلك لأنَّ الشِّرْك اسم جنسٍ تحته أفراد كثيرة وصور متنوِّعة، وأفعالٌ متعدِّدة.

(**بَابٌ مِنَ اَلشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اَللهِ**)؛ إذا فهِمنا أنَّ المقصود بالاستغاثة هنا: الاستغاثة في تفرِيج الكُربة، والوصول إلى المفازة؛ فنُدرك أنَّ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنَى بالاستغاثة هنا: الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلَّا الله.

مثل: كون الناس في سفينة فتلاطمَتْ الأمواج، فمهما عَظُمَ شأنُ المخلوق فإنَّه لا يستطيع أن يُسكِّن البحر.

وكذلك لو جاءَتْ العواصف والقواصف فإنَّ المخلُوقِين لا يستطيعون أن يُسكِّنوها، ولا أن يهدِّئُوها؛ فيستغِيثُون بمَن؟

إذًا... موضع (**بَابٌ مِنَ اَلشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اَللهِ**)؛ قوله: (**مِنَ الشِّرْكِ**)؛ مُنصبّ على الاستغاثة الشِّركيَّة (**مِنَ اَلشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اَللهِ**)؛ الاستغاثة الشِّركية، وهي التي لا يقدر عليها إلَّا الله جلَّ في عُلاه.

ولذلك ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]

فإذًا... طَلَبوا الغَوْث في الأمور التي لا يَقدر عليها إلَّا الله إذا صُرِفَتْ لغير الله.... إذا صُرِفَ لغير الله هذا الطلب أو صُرِفَتْ لغير الله هذه العبادة كان شِركًا.

ودعاء الله عَزَّوَجَلَّ فيما لا يقدر عليه سِواه عبادة، وصَرْف العبادة لغير الله شِرْك، كما تقرَّر معنا في الأبواب السابقة.

ثم إنَّ دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله سَفَهٌ وخَبالًا.

لو رأينا إنسانًا واقفًا عند جدار المسجد: يا جدار.... يا جدار.... يا جدار..... ماذا تريد منه؟ قال: أريد منه الولد. لاتَّهمَه النار بالجنون في عقله وفي دماغه؛ فما بالهم لا يتَّهمون السَّفيه الذي يدعو الميِّت؟! والميِّت أعظم عَجْزًا من الجدار. ليش؟

- **أولًا**: لأنَّه ليس حاضرًا كالجدار.
- **ثانيًا**: لأنَّه مرهونٌ بعمله:

إمَّا في نعمة: فأنَّا يدري عنك؟!

أو في نِقمة: فكيف يكشف الكُربة عنك؟!

ما يوجد ميت إلَّا وله هاتان الحالتان، الأموات كلُّهم إمَّا في نعيم، وإمَّا في نقمة وعذاب وجحيم؛ فكيف يُدعَوْن من دون الله عَزَّوَجَلَّ؟!

ولهذا قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مُبيِّنًا سَفَهَ هؤلاء: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]؛ هذا أعظم تسفيه للنفس، الإنسان يترُك الحنيفيَّة، دعاء الله عَزَّوَجَلَّ والاستغاثة به إلى مخلوقٍ مِثله عاجزٍ فقير، كان يَمرَض وكان مُعرَّضًا لأنواعٍ من البلايا؛ فكيف تدعوه مثل الله جَلَّوَعَلَا؟!

إذًا... **(بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ)**؛ «أَنْ» وما بعده من الفعل المضارع مؤوَّل بالمصدر، أي: من الشِّرك الاستغاثة بغير الله.

(أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ)؛ أيضًا من الشِّرك دعاء غير الله عَزَّوَجَلَّ، وهو الطلب، والطلب أعمّ من الاستغاثة لغةً وشَرعًا؛ فكلُّ استغاثةٍ طلب وليس كلُّ طلبٍ يكون استغاثة.

قد يدعو الإنسان وهو ليس يريد تفريج كُربة ولا شيء؛ يدعو بشيء: فهذا يسمَّى «دعاء».

أمَّا الاستغاثة فإنَّما تكون في وقت الكُرَب، وتوقُّع الأهوال.

إذًا... من الشِّرك: الاستغاثة بغير الله.

من الشِّرك: دعاء غير الله.

والمقصود بالأخصِّ والأعم ما هو عبادة، وما الذي هو عبادة؟

في الاستغاثة: أن ندعُوه فيما يقدر عليه هو؛ فلا ندعو غيره، لأنَّ غيره عاجز.

إذا فُهِمَ هذا المعنى فلا يختلط عليك الأمر أنَّه يمكن للإنسان أن يدعُو زيدًا: يا زيد، تعالى. هذا دعاء وطلب.

يا فلان، افتح الباب. هذا طلب ودعاء.

هذا ما هو شِرك؛ لماذا ليس بشِرك؟ لأنَّ هذا داخلٌ في قُدرته.

لكن تقول: تعالى يا فلان خلِّ السماء تُمطر. هذا هو الشِّرك.

ولذلك ينبغي علينا أن ننتبه إلى تلبِيسات المُلبِّسِين من المُشركِين وأشباههم الذين يُلبِّسُون الدِّين ويقولون: كيف تقولون: أنَّ الاستغاثة شِرْك، وفي القرآن الكريم ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ [القصص: ١٥]

طيب... يا جُهَّال افهموا! إحنا ما قُلنا: أنَّ الاستغاثة مُطلقًا شِرك. قلنا: الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلَّا الله شِرك، كون الرجل الإسرائيلي من بني إسرائيل قال لموسى: أغثنِي من هذا الرجُل، أنقذنِي من هذا الرجل. يقدر عليه، هو رجُل وهذا رجُل، وموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ له مكانة لأنَّه تربَّى في بيت

فرعون، وقوي وجسيم، فمَنَعَه وقال به هكذا فمات الرجُل؛ هذه استغاثة فيما يقدر عليه المخلوق.

كما لو كان الإنسان في بئرٍ وفوق البئر إنسان آخر فقال: يا فلان، ناولنِي أنبوبة الأكسجِين فإنَّ الأكسجين انقطَعَ، سأموت. ما في بأس، لا يُقال: إنَّ هذا توسُّلٌ أو استغاثةٌ أو دعاءٌ شِركيٌّ؛ لماذا؟ لأنَّ طلَبَ ما هو في مقدور المدعو. مثل ما أنت تذهب إلى الطبيب تقول: يا طبيب، أرجوك شوف لي شنو المشكلة عندي، عندي ألم في البطن. أنت تعلم أنَّه سبب؛ فأيُّ إشكالٍ في هذا؟ وهذا داخلٌ تحت قُدرته، يعمل لك فحوصات وإشاعة وكذا، يتبيَّن ما المشكلة عندك؟

لكن عمركم شفتم إنسان عاقل يحترم نفسه وعقله يقول للطبيب: يا طبيب، تكفِي أعطني ولد! مستحيل؛ وإلَّا الطبيب سيظنُّه مجنونًا، فكم من طبيبٍ لا ولد له! ولَّا لا؟

إذًا... لا بد أن نُفرِّق.

لمَّا نقول: من الشِّرك الاستغاثة بغير الله، أو دعاء غير الله. ماذا نقصد؟

طالب: ..... (١٤:٠٧).

أيوة، فيما لا يقدر عليه إلَّا الله؛ فصَرْفه لغير الله شِركٌ من وجهَين:

الأول: أنَّه صَرْفٌ للعبادة لغير الله؛ فالله أمَرَنا أن نستغِيث به، وأن ندعوه.

والوجه الثاني: أنَّ هذا إعطاء أو إسباغ شيءٍ من خصائص الرب للعبد، للعبيد؛ فصار هذا النوع من الشِّرْك شِركًا في العبودية (اللي هي الألوهية، توحيد العبادة)، وشِركًا في الربوبية.

فانتبه يا عبد الله! الناس إذا أصابتهم المصيبات يقولون: يا الله، الموحِّد يقول: يا الله.

المُشرِك يقول: هو يا عيسى، يا جيزوس.

والمُشرك الآخر يقول: يا سيدي يا بدوي.

والآخر يقول: يا جيلاني المدد. مسكين؛ جيلاني لو كان حيًّا وهو في بغداد - لأنَّ جيلاني من أهل بغداد- لو كان الجيلاني حي وهو في بغداد وأنت في بحر العرب ما دَرَى عنك، فرضنا عنده اتصالات لا سلكيَّة، تليفونات ودَرَى عنك؛ ما يقدر عليك يا مسكين، ولا يقدر أن يغِيثك.

ولهذا قال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]؛ هذه واحد.

منِّي لا بأس تقول: يا صليب... يا صليب... يا صليب.... ما راح يسمع.

يا عَيْدارُوس.... يا حُسين. ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢١]؛ فلا يسمعون، هو لو كان حي، والحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في مكة -لأنَّه عاش في آخر حياته قبل استشهاده في مكة-، وأنت في العراق ما سَمِعَك؛ كيف يسمعك الآن وقد مات؟!

فإذًا لا بد للإنسان أن ينتبه! ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ فرضًا أنه سَمِع هذه تسمَّى «فرضيَّة، تنزُّل»، ولو سمِعوا، افترض أنَّه سَمعك ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ﴾؛ لماذا لا يستجيبون لكم؟

لأنَّهم أموات.

لأنَّهم إمَّا في نعيم، وإمَّا في جحيم.

كيف يستجيبون لكم؟!

ثم فرضًا -انتبه الآن! وهذه فرضية ثالثة ولم تُذكَر لنُدرتها- أنَّه زعَمَ أنَّه يستجِيب لك، ويوم القيامة يكفرون بشِركك، وأولهم إبليس يكفُر بهذا الشِّرك، قد يزعُم لك، يسوِّس لك أنَّه يقدر على أشياء وأشياء؛ لكن يوم القيامة يكفُر بهذا الشرك.

إذًا... هذا معنى هذا الباب (**بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ**)؛ هل يدخُل فيه دعاء الغير فيما يقدر عليه؟

الجواب: لا، لا يدخُل فيه دعاء الحاضر الناظر، حاضر موجود وناظر يسمعك ويراك.

فإن قال بعض الضُّلَّال: إنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حاضرٌ ناظر بعد مماته! هذا ترى موجود، هذه عقيدة عند البريْلاويَّة (وهي عقيدة النصارى في عيسى: أنَّ عيسى حيٌّ ناظرٌ، سامعٌ يسمع كل شيء، ينظُر كل شيء)؛ فكيف تردّ على هؤلاء الذين يقولون: إنَّ النبي ﷺ ما مات، وأنَّه حيٌّ حاضرٌ ناظرٌ يسمع ويقدر؟

تقول له: إذا كان الأمر كذلك فما في فَرْق بينه وبين الله؛ إذًا لماذا تقول: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله تقول اثنين؟ هُم واحد.

الذي يعتقد أنَّ هناك أحدًا غير الله يسمع كل استغاثتٍ، ويقدر على كَشْف كل كُرْبتٍ، وينظُر كل طرفةٍ، ويسمع كل صَيْحةٍ؛ هذا:

يا إمَّا أنَّه يعتقد أنَّه هو الله.

يا إمَّا أن يعتقد أنَّ مع الله آلهةً أخرى.

ما في طريقٌ آخر، يا هذا يا هذا.

ولهذا ينبغي علينا أن ننتبه! هذه قضية خطيرة؛ الحيُّ السميع البصير:

- الحيُّ أزلًا وأبدًا.

- السميع لكل مسموع.
- البصير لكل مُبصرٍ.
- القادر على كل شيء.

هو الله الواحد القهَّار فقط، وكلُّ مَن سِواه حياته وقتيَّة، سَمْعه وقتي، نظره وبصره وقتيٌّ، كل شيء فيه وقتيٌّ، لا يمكن أن يكون مُطلقًا، وإذ لو كان مُطلَقًا لَمَا كان ثَمَّ فَرْقٌ بينه وبين الله.

ولهذا أيُّها الإخوة، مَن يُشرك بالله في الألوهيَّة فيدعو غير الله، أو يستغِيث بغير الله، أو يستعِيذ بغير الله، أو يذبح لغير الله؛ شاء أم أَبَى سيأتي يوم ويقول -عياذًا بالله-: الله هو حُسين، وحسين هو الله. شاء أم أبَى، يقول: الجيلاني هو الله، الله هو الجيلاني.

مثل قول النَّصارى: الله هو عيسى، وعيسى هو الله. ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة: ١٧]؛ هو كلمة الله، وروح الله؛ لكن ليس هو الله؛ كان بكلمة الله، وروح من الأرواح المخلوقة لله؛ فلا يلبسنَّ أحدًا عليكم.

أورَدَ المُصنِّف تحت هذا الباب أربع آياتٍ وحديثًا واحدًا:

الآية الأُولى: آية سورة يونس؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]؛ إذًا فهِمنا أنَّ معنى (**أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ**)؛ دعاء أيش؟ دعاء المسألة، دعاء العبادة، مو أي دعاء: تعال يا ولدي.... روح يا ولدي.

بعض الناس إذا قلتَ له: دعاء غير الله شِرك. يقول: ها، أنت تدعو غير الله.

وين أدعو غير الله؟ قال: أنت تقول: السلام عليك يا أيُّها النبي.

يا مسكين، أنت الحين منين فهِمتَ أنِّي أنا لمَّا أقول: يا أيُّها النبي. أنِّي دعوته؟ أنا أقول: السلام عليك يا أيُّها النبي. وين دعوت هذا؟ أنا طلبتُ له السلامة؛ وين دعوته؟

يقول: الناس يقولون: آه يا أبتِي. في هذا توجُّع مو طلب، أبوه ميِّت من زمان، يقول: آخ يا أبوي لو أنَّك موجود. هذا توجُّع، وين الدعاء؟

تلبيس، الآية واضحة ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾؛ ما قال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ مُطلقًا.

ثبَتَ في أحادِيث أنَّ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- بايَعَ بعض الصحابة على عدم سؤال أحد، هذه خاصية، كما في حديث عُبادة، قال: «وكان فيما أخَذَ علينا ألَّا نسأل الناس شيئًا»؛ يعني: حتى فيما يقدرون عليه، يقول راوي

الحديث: «فكان سوط أحدهم يسقط فلا يقول لغلامه أو عبده: ناولني. ينزل من فرَسِه أو من ناقته ويأخذ سَوطه ثم يركب»؛ هذه مسألة ثانية.

إحنا الآن في أنَّ دعاء غير الله شِرك، يعني: في ماذا؟ في جَلْب نَفْعٍ، أو دَفْع ضُرٍّ ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ﴾؛ هذا نَهْي، والنَّهْي يقتضي التحريم، والتحريم في باب الشِّركيَّات دلالة على أنَّ هذا الفِعل كُفرٌ وشِرك.

لو واحد ركب رأسه ودعا غير الله، مع عِلمه أنَّه لا ينفعه ولا يضرُّه؛ فماذا يكون حُكمه؟

قال الله: ﴿فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾؛ الخطاب لمَن في ﴿وَلَا تَدۡعُ﴾، ﴿فَإِن فَعَلۡتَ﴾، ﴿فَإِنَّكَ﴾؟ النبي ﷺ بإجماع المُفسِّرين، وهذه قاعدة تفسيريَّة من قواعد التفسير: «أنَّ الخطاب إذا كان له في حُكمٍ عام دلَّ على خطورة المنهِي، والخطاب إذا كان له والحكم عام الأمر إذا كان له هنا النهي الأمر إذا كان له والحكم عام دلَّ على عظمة المأمور به»؛ يعني: هما متضادَّان:

إذا كان النَّهْي مُخاطبًا به النبي ﷺ والحُكم عام: دلَّ على عظمة المنهِي عنه.

وإذا كان الأمرُ أَمْرَ فِعلٍ وإيجاد أَمَرَ الله رسوله به والحُكم عام: علِمْنا أنَّ هذا الأمر عظيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]

علِمْنا عظمة التقوى.

﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ علِمْنا خطورة الشِّرْك.

﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ﴾؛ خطاب له. ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾؛ دلَّ على خطورة الشِّرْك.

إذًا... لا بد أن ننتبه للدلالات.

﴿فَإِن فَعَلۡتَ﴾؛ هذا يسمَّى «الفرضيَّة»، وحاشا النبي ﷺ والأنبياء والرُّسل؛ فهُم معصومون أن يفعلوا ذلك.

﴿فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾؛ يعني: التوحيد -كما تعلمون- يشفع لصاحب المعصية، فيومًا من الدَّهر سيدخل الجنة؛ لكن إذا وُجِدَ الشِّرْك مباشرةً ينقلبُ إلى الظُّلم، لا يستحق شيء.

﴿فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا﴾ ﴿إِذٗا﴾؛ هنا بمعنى: وقتها، ظرفيَّة؛ ﴿فَإِنَّكَ إِذٗا﴾؛ يعني: وقت هذا الفِعل، من حينه من وقته تكون ﴿مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾؛ فاحذر يا عبد الله!

و(أل) ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾؛ في القرآن إذا جاء مُعرَّف فالمقصود به: الظُّلم الأكبر الذي هو مساوٍ لأيش؟ للشِّرْك والكُفر، «الظَّالم» إذا جاء مُعرَّفًا في الكتاب والسُّنَّة فالمقصود به: الأكبر الذي يساوِي الشِّرك والكُفر الأكبر.

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾؛ هذه آيات واضحة في الدلالة، إذا كان الله مسَّكَ بضُرٍّ؛ مَن يستطيع أن يكشف عنك الضُّر؟ لو أطبَّاء الدنيا اجتمعوا ما عَرَفوا لك.

لو أرادوا إهلاكك كلَّهم وأجلك لم يحِنْ ما مِتَّ ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾؛ هذا هو معنى حديث ابن عباس: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاَللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ**.....». الحديث.

ثم أورَدَ آية العنكبوت قوله تعالى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] ﴿فَٱبۡتَغُواْ﴾؛ أي بمعنى: فاطلبوا، فاطلبوا ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾

أيش وجه الاستشهاد بهذه الآية؟

وجه الاستشهاد: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ سمَّى طلب الرِّزق من عنده عبادةً؛ فدلَّ على أنَّ طلب الرزق من الغير شِركٌ.

لو جاء أحد وقال: يا وليَّ الله، أنبِت لي الزَّرْع، أدِر لي الضرع، أنزل السماء مدرارًا. كان هذا شِركًا أكبر؛ ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾

وتأمَّل بلاغة الآية، بلاغة كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ ما قال: «فابتغوا الرِّزق عند الله»؛ قال: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾؛ شو الفَرْق؟

في فَرْق قُلناه ونؤكِّد ونُكرِّر: تقديم المعمول عند العرب في لغة الفصاحة والبلاغة في علم البيان، تقديم المعمول الذي حقُّه التأخير يدلُّ على الحصر، لو قال: «فابتغوا الرِّزْق عند الله»؛ يمكن يُفهَم ابتغوا الرِّزق عند الله وعند غيره؛ لكن لمَّا قال: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾؛ معناه لا يجوز أن تبتغِي الرِّزق عند غير الله عَزَّوَجَلَّ.

فإن قال قائل: فإنَّ الناس يقولون: فلان قَطَعَ رِزقي. فلان مو غلطان، إذا هو غلطان نروح (١٠:٣٠)؛ ما أحد يقطع رِزق أحد؛ لكن قد يكون سببًا في قَطْع الرِّزق، والأسباب لا تُنكَر؛ لكن لا يُعلَّق القلوب بها، رِزقُك سيأتيك سيأتيك، إن أجراه على يد فلان أو قتَّره على يد فلان؛ لكن الرزَّاق هو الله.

﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾؛ دلَّ على أنَّ طلب الرِّزق عبادة، فالإنسان قد يدعو ربَّه فيرتقِي في مراقِي العبوديَّة بالدعاء، يدعو شهر شهرين

ثلاثة، سنة سنتين، لا يُستجاب له حاليًّا؛ لكنه يرتقِي في مراقِي العبوديَّة وهو لا يدري؛ ليش؟ لأنَّه لازَمَ الدعاء.

ثم أورَدَ آيتين من سورة الأحقاف ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥-٦]؛ هاتان هُما الآيتان.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾؛ الاستفهام تقريري بمعنى: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾؛ ﴿مِن﴾؛ من ألفاظ العموم ولَّا الخصوص؟ العموم باتِّفاق الأصوليِّين ﴿مِن﴾؛ من ألفاظ العموم؛ فقوله: ﴿مِمَّن﴾، وقوله: ﴿مِن﴾؛ دلَّ على العموم، أيًّا كان الدَّاعِي لغير الله فهذا الحُكم سينطبقُ عليه، وهو: أنَّه وقَعَ في الشِّرك والكُفر ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

طيب... لو قال: «دون الله»؛ كان كافٍ، يعني: لو كان في غير القرآن كان يصح أن يقول: «مَن أضل مَن يدعو دون الله»؛ لكن لماذا أتَى بكلمة ﴿مِن﴾؛ الجارَّة ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟ زيادة ﴿مِن﴾؛ زعَمَ بعض المفسِّرين أنَّها صِلة وزائدة، وهذا زَعْمٌ باطل؛ بل الصواب: أنَّ

﴿مِن﴾؛ لزيادة التعميم، لتأكيد التعميم؛ أي: لا أحد أشدُّ ضلالةً من الذي يدعُو غير الله أيًّا كان المدعو من دون الله، مَن كان مَلَكًا مُقرَّبًا أو نبيًّا مُرسلًا، وليًّا صالحًا أو شيطانًا ماردًا، إنسيًّا أو جِنيًّا، جمادًا أو حيوانًا؛ لا فَرْق.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟

الجواب: لا أحد أضلُّ ممَّن يدعو من دون الله.

لماذا لا أحد أضلُّ ممَّن يدعو من دون الله؟ شوف الجواب!

﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ يعني: إحنا مثل ما قلنا: لو واحد قال لنا: مَن هو أضلّ إنسان يجي عند الجدار أو عند الشجر يقول: يا شجر أَبِي ثمر... يا شجر أَبِي ثمر. كل الناس يقولون: هذا رجُلٌ ضالٌّ، لا يوجد أضلّ منه، الثمر لا يُطلَب من الشجر؛ يُطلَب من الله الذي أنبَتَ الشجر.

﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ لماذا لا يستجِيب له؟

إمَّا لأنَّه لا يسمع، كالجماد والمَوات.

أو لأنَّه غائبٌ وإن كان يسمع، فليس بشهيدٍ ولا هو حاضرٌ ولا هو قادرٌ على السَّمَع، كالشُّهداء الذين عند الله ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، أو كفِرعون الذي في النار مُعرَّض ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]؛ لا يستطيع أن يسمع.

يعني أضرب لكم مثال الآن: في ليلة الإسراء والمعراج النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- رأى في كل سماء بعض الأنبياء. صح ولَّا لا؟

ابتداءً من السماء الأُولى رأَى فيها مَن؟ آدم.

وانتهاءً بالسماء السابعة رأَى فيها مَن؟ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وفي السادسة: موسى.

هؤلاء كلُّهم لا يستطيعوا أن يسمعوا ما الذي يجرِي في الأرض، لا يستطيعون. إذًا... ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

وهذا هنا يأتي إنسان يفهم: لماذا لا أحد أضلُّ منه؟ كيف يترُك السميع البصير، القوي القادر العزيز؛ هو يدعو عاجزًا فقيرًا؟! في أحسن الأحوال أنَّه إن سمِع لا يقدر؛ إذًا لماذا تدعو ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؟

﴿وَهُمْ﴾؛ هذه العِلَّة الثانية الآن ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥﴾ ﴿هُمْ﴾؛ الضمير في ﴿هُمْ﴾؛ راجع إلى مَن؟ يبغى لنا التفسير في الضمائر خاص ﴿هُمْ﴾! المدعُوِّين؛ يعني: مو الدَّاعِين.

المدعُوِّين ﴿هُمْ﴾؛ أي: المدعُوِّين أيًّا كانوا، عيسى -مثلًا- عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، محمدٌ ﷺ، الحُسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، الجَيْلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ هؤلاء ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥﴾؛ ما يدرُون مَن اللي دعاهُم.

النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمَّا كان حيًّا في الأرض زمن نبوَّته فقَدوا عِقدًا لعائشة، صاروا يبحثُون عن العِقد أين هذا العِقد؟ يبحثون يمين وشِمال حتى كاد أن تخرُج الصلاة عن وقتها، ما قال: والله أنا أعلم أين العِقد؟

توجَّه بأصحابه إلى غزوة أُحُد؛ ما عَلِمَ أنَّه سيموت سبعين من أصحابه في أُحُد، وإلَّا ليش نروح؟

ما عَلِمَ أنَّ هؤلاء الرُّماة سيعصونه وإلَّا ليش يحطَّهم؟ يحطّ ناس ثانِيين ما يعصونه. صح ولَّا لا؟

قضايا واضحة مثل الشمس. ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾.

فرضًا أن يقول إنسان: لا، أنا أدعو الشيطان، والشيطان مو بغافل، في قرين لي ملازِم لي قُل: ادعُ الشيطان، الشيطان أول مَن سيتبرَّأ عنك ومنك يوم القيامة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ﴾ [الأحقاف: ٦] ﴿كَانُواْ﴾؛ واو الجماعة ضمير راجع للمدعُوِّين.

﴿لَهُمۡ﴾؛ ضمير راجع إلى الدَّاعِين.

﴿كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾؛ فسمَّى الله دعاءهم غيره «عبادة»، وهذا وجه مهم، سمَّى الله دعاء هؤلاء لغير الله «عبادة»؛ فصَرَفوا العبادة لغير الله؛ فوَقَعوا في الشِّرْك الأكبر المُخرِج من المِلَّة ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ

مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾.

ولهذا جاء في «سورة فاطر» قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩﴾ [فصلت: ١٩]، ثم قال الله للملائكة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]؛ نحن نُنزِّهُكَ، ما كانوا يدعُوننا، حتى ما يدرُون أنَّهم يدعُونهم، ما يدرون.

ثم إنَّ هؤلاء الحمقَى من المُشرِكين -المُشركُون كلُّهم حمقَى، سُفهاء، وإلَّا والله ما دعَوْا إنسانًا مثلهم مخلوقًا عاجزًا فقيرًا مثلهم- ليسألوا أنفُسهم سؤالًا: لو أنَّ السماوات أطبَقْنَ على الأرض؛ مَن الذي يقدِر على أن لا تقع السماء على الأرض فيدفع السماء؟! سيقولون: لا أحد إلَّا الله. طيب إذًا لماذا تدعُون غير الله في الضرَّاء؟ لهذا أورَدَ المُصنِّف آية «سورة النمل»؛ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾؟ لا إله إلَّا الله! ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾؟ لا أحد.

هذه الآية أيش فائدتها، تستفِيد منها؟ أنَّ المَلَك اللي على يمِينك والمَلَك اللي على شِمالك هُم يشوفونك ويسمعُونك؛ بس ما يصير تدعُوهم؛ ليش ما تدعُهم؟ لأنَّهم ما يستطيعُون أن يكشفوا السوء عنك، ما يستطيعُون، هُم مأمورون بأن يحفظُوك ممَّا لم يُكتَب عليك، كما قال الله في «سورة الرَّعد» قال: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]؛ لكن مع هذا هُم ما يقدرُون.

إذا وقعْتَ في كُربة، لو قلتَ: يا رقيب، يا عتيد. وقعْتَ في الشِّرْك، ليش وقعتَ في الشِّرْك؟

واحد يمكن يقول لك: طيب هو يسمعني، هو يشوفني؛ ليش وقعتُ في الشِّرْك؟

لأنَّك دعَوْتهم فيما ليس تحت قُدَرِهم، هذا ما هو داخل تحت قُدَرِهم؛ الرقيب والعتيد له وظيفة معيَّنة لا يتعدَّاها.

لذلك هذه قضايا مهمة! ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾؛ حتى الملائكة اللي نزلوا في «غزوة بدر» لنُصرة النبي ﷺ ما نَزَلوا إلَّا بأمر الله؛ فالله يُنزِّل مَن يشاء لنُصرة مَن يشاء، كما يُهيِّئُ أي سببٍ شاء لإنجائِك، أو يُنجِيك بلا سبب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝١١ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الأنفال: ٩-١٢]؛ تصرُّفات الملائكة مو بكيفها؛ بإذن الله ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ فتطلب ممَّن عنده الإذن.

ضحكتُ مرة من أمر غريب؛ أراني بعض الأولاد مقطع لجُندِي واقف ما يرمش حتى، ما أدري واقف على قصر قالوا: هذا ما يتحرَّك حتى ينتهِي دوامه، لو يشوف قدَّامه اللي يشوفه ما يتحرَّك. هذا وظيفته بس يوقف مثل الصنم. طيب... الآن هذا الرجُل ما يتحرَّك؛ لكن لو أَمَرَه آمِرُه سيتحرَّك ولَّا ما يتحرَّك؟ شوفوا كيف؟!

أنت الآن إذا رأيتَ حادث في الطريق، ثم هناك ضابط موجود وعساكر موجودة؛ تذهب تُخاطِب مَن؟

طالب: ..... (٢٩:٤٤).

الضابط؛ ليش ما تخاطب العسكري؟ لأنَّك تعرف أنَّ العسكري لا يُقدِّم إلَّا بأمرٍ مِن مَن؟ ممَن يضبطهم. صح؟

طيب رب العالمين جَلَّوَعَلَا بيده ملكوت كل شيء؛ ليش أنت تروح عند الوسائط؟!

ليش تروح عند الملائكة؟!

ليش ما تدعو الله مباشرةً؟!

هذه قضايا عظيمة!

- هو أرحم الرَّاحِمين.
- هو أكرم الأكرمِين.
- هو أحكَم الحاكمِين.

إذا تيقَّنْتَ من هذه الأمور الثلاثة:

أرحم الراحمِين هو الله: والله لن تطلُب من أُمِّك بل تطلب من الله.

أحكم الحاكمِين هو الله: فلن تتَّجه إلى حكيم آخر.

انتبه! أرحم الرَّاحمِين، وأحكَم الحاكمِين، وخير الرَّازقِين؛ كيف تتَّجه إلى غيره؟!

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾؛ طبعًا ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾؛ هذا دعاء قلنا: أعمّ. لذلك هذا الدُّعاء يسمَّى «دعاء الاستغاثة» لأنَّه واقع في كُربة.

لذلك يقول العلماء: الفَرْق بين الاستغاثة والاستعاذة ومُطلَق الدعاء:

- **الاستعاذة**: طلب العَوْذ من خوفٍ متوقَّع.
- **والاستغاثة**: طلب كَشْف كُربةٍ واقعةٍ على العبد.
- **والدعاء**: أعمّ؛ يشمل هذا وهذا، وقد يكون غير هذا.

ثم أورَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت هذا الباب حديثًا واحدًا؛ قال: (رَوَى اَلطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ)؛ يعني: عن عُبادة بن الصَّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ اَلنَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي اَلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اَللهِ ﷺ مِنْ هَذَا اَلْمُنَافِقِ)؛ أنا بسألكم سؤال الآن: النبي ﷺ في المدينة حاكم زيادة على وظيفة النبوَّة والرسالة، والحاكم يقدِر أن يكُفَّ أذى العابثِين. ولَّا لا؟ إذًا... هُم سألوا شيئًا تحت قُدرة النبي ﷺ ولَّا لا؟ إذًا... الحمد لله فما وقَعَ منهم الشِّرْك.

انتبه! لأنَّ بعض الناس قد يُلبِّس عليك، يقول لك: أنتم تتَّهمُون الصحابة بكذا وكذا. لا ما نتَّهمهم، ما وقَعوا في الشِّرْك؛ فقوله: **(قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ**

اَللهِ ﷺ مِنْ هَذَا اَلْمُنَافِقِ)؛ لاحظ الآن! استخدموا لفظة ما كان من المُنبغَى استخدامُها، يعني: كان يمكن يقولوا: «قوموا إلى رسول الله ﷺ ننتصِر به على هذا المنافق، نطلب منه يكُفُّ أذَى المنافق»، ما يستخدمون كلمة **(نَسْتَغِيثُ)**.

لذلك الإمام محمد أورَدَ هذا الحديث مع أنَّ هناك عشرات الأحادِيث في وجوب دعاء الله وتَرْك دعاء غير الله؛ لأنَّ فيها أنَّ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيَّن مُنتَهَى وغاية ما يؤدِّي إليه استغاثة بغير الله وهو الشِّرْك، وذَكَرَ حديثًا يدلُّ على مبدأ أو مبادئ ما يُوصِلُ إلى هذا النوع من الشِّرْك، وهذا من دِقَّة الاستِيعاب؛ ولَّا ترى هو يحفظ حديث ابن عباس أحسن منِّي ومنك، يحفظ عشرات الأحادِيث في الدلالة على وجوب دعاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فلمَّا اختار هذا النصَّ على وجه الخصوص؛ علِمْنا أنَّ له مقصِد وهو: أنَّ مُنتهَى الاستغاثة بغير الله، ودعاء غير الله شِرْك مبدأه التَّساهُل في الألفاظ، تزيُّن وتزيين في الألفاظ يؤدِّي إلى تقرُّر معانِي فاسدة في القلوب.

(فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ)؛ مباشرةً أغلَقَ باب الألفاظ.

(إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي؛ وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاَللهِ عَزَّوَجَلَّ). **(إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي)**؛ أي: لا يُطلَب الغَوْث بي.

ولذلك الصحابة تعلَّموا هذا الأدب، فجاء أعرابيٌّ وقد قَحِطَ الناس وأصابهم القَحْط فقالوا: يا رسول الله. ما قالوا: «إنّا نستغِيثُ بكم. قالوا: يا رسول الله، إنَّا نطلُب منك أن تدعو الله فيُغِيثَنا». شوفتوا أيشلون؟ «أن تدعُو الله فيُغِيثنا. قال أنسٌ: ووالله ما في السماء من سحابةٍ ولا قَزَع، فرَفَعَ يديه فما أنزلهما إلَّا وقد نشأَتْ السحابة من خَلْف سَلْعٍ كالتُّرْس حتى توسَّطَتْ المدينة ثم انتشَرَتْ، قال: ما خرجنا إلَّا والمطر فوق رؤوسنا، فأمطِرنا سَبْتًا»؛ أسبوع كامل.

إذًا... لاحظوا الآن! أنَّ هذا من باب الأدب؛ لذلك الإمام أحسَنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وَضْع بابَيْن في الدِّلالة على حِماية النبي الكريم ﷺ لجناب التوحيد (**إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي؛ وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ** عَزَّوَجَلَّ).

فإن قال قائل: كيف استشهَدَ بحديثٍ مُختَلَفٍ في صِحَّته وضَعْفه؟

قلنا: المقصود: أنَّه للاعتضاد لا للاعتماد؛ وإلَّا فالآيات كافية في الدلالة على هذا المعنى؛ وإنَّما أورَدَه من باب تعلُّم الآداب فيما يتعلَّق بحقِّ الوهَّاب جلَّ في عُلاه.

المتن

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

فِيهِ مَسَائِلُ

- **اَلْأُولَى**: أَنَّ عَطْفَ اَلدُّعَاءِ عَلَى اَلِاسْتِغَاثَةِ مِنْ عَطْفِ اَلْعَامِّ عَلَى اَلْخَاصِّ.

الشرح

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]؛ لاحظ الآن! ﴿يَدْعُواْ﴾؛ هذا أعمّ. (**عَطْفَ اَلدُّعَاءِ عَلَى اَلِاسْتِغَاثَةِ مِنْ عَطْفِ اَلْعَامِّ عَلَى اَلْخَاصِّ**).

المتن

- **اَلثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]

الشرح

ما تفسيره؟ تفسيرها: قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾؛ تفسيره: أنَّك إذا فعلْتَ ذلك فقد وقعْتَ فيما وقَعَ فيه المُشركُون.

المتن

- **اَلثَّالِثَةُ**: أَنَّ هَذَا هُوَ اَلشِّرْكُ اَلْأَكْبَرُ.

الشرح

لأنَّ الله خَتَمَ الآية بقوله: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾، وختَمَ الآية بقوله: ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥﴾؛ بقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾ [الأحقاف: ٦]

المتن

- **اَلرَّابِعَةُ**: أَنَّ أَصْلَحَ اَلنَّاسِ لَوْ يَفْعَلُهُ إِرْضَاءً لِغَيْرِهِ، صَارَ مِنْ اَلظَّالِمِينَ.

الشرح

منين نفهم كلمة (**أَصْلَحَ اَلنَّاسِ لَوْ يَفْعَلُهُ**)؟

طالب: مُخاطبة النبي ﷺ.

من مُخاطَبة النبي ﷺ بهذا الخِطاب.

المتن

- **اَلْخَامِسَةُ**: تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ اَلَّتِي بَعْدَهَا.
- **اَلسَّادِسَةُ**: كَوْنِ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ فِي اَلدُّنْيَا مَعَ كَوْنِهِ كُفْرًا.

الشرح

وهذه قاعدة لا بد أن نستفِيد منها «كلُّ ما نَهَى الله عنه فإنَّه ليس بنافعٍ، وإن ظنَّ الناس صورة النَّفْع في الخيال أو في الواقع»؛ هو ضارٌّ، الله ما نَهَى عباده

عن شيء ابتداءً من أعظم المنهِيَّات الشِّرك، وانتهاءً بأدنَى المنهيَّات المكرُوهات؛ إلَّا وفيها مَضرَّة على العباد.

المتن

- **اَلسَّابِعَةُ**: تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ اَلثَّالِثَةِ.
- **اَلثَّامِنَةُ**: أَنَّ طَلَبَ اَلرِّزْقِ لَا يَنْبَغِي إِلَّا مِنْ اَللهِ، كَمَا أَنَّ اَلْجَنَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ.

الشرح

لا ينبغي لأحد أن يطلُب الرِّزق من غير الله؛ الرَّزَّاق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والجنة من رِزق الله؛ فلا نطلُب الجنة إلَّا من الله؛ لذلك الرِّزق لا نطلبه إلَّا من الله.

طيب... فلان قد يُعطِيك، يعلم أنَّك في كُربة فيدفع إليك مال. هذا ما هو هو اللي رَزَقَك، لا؛ هذا سبب؛ الرَّزَّاق هو الله.

مثل الطعام؛ أنت تأخُذ الطعام تحطُّه في معدتك، ما أنت إلَّا سبب؛ وإلَّا هل الجسم ينتفع بهذا الطعام أو لا ينتفع؟ هذا بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مو بيدك أنت.

المتن

- **اَلتَّاسِعَةُ**: تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ اَلرَّابِعَةِ.

الشرح

آية «النمل» قصده.

المتن

- **اَلْعَاشِرَةُ**: ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَا أَضَلُّ مِمَّنْ دَعَا غَيْرَ اَللهِ.
- **الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ**: أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دُعَاءِ اَلدَّاعِي لَا يَدْرِي عَنْهُ.

الشرح:

(**غَافِلٌ**)؛ لأنَّه:

- إمَّا أنَّه لا يسمع.
- أو يسمع ولكن لا يقدر.

المتن

- **اَلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ**: أَنَّ تِلْكَ اَلدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ اَلْمَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ.

الشرح

الله أكبر! هؤلاء يزعمون أنَّهم يحبُّون عيسى؛ لكن لا يعلمون أنَّ فِعلهم هذا يجعل عيسى يبغضهم، لما يقول: هو جيزوس. هذه الكلمة تُبعدهم عن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

مثل هذا مَن يزعُم حب الجَيْلاني -مثلًا-، فدعاء الجيلاني يجعل الجيلاني يبغضه، الجيلاني موحِّد يأمُر الناس بالتوحيد.

مثل هذا الذي يقول: يا حُسين. هذا يجعل الحسين يُبغضه؛ لأنَّ الحسين ما كان يقول: يا علي. ولا كان يقول: يا محمد. كان يقول: يا الله.

فإن كُنَّا مُحبِّين لهؤلاء؛ فالواجب علينا أن نقول: يا الله.

المتن

- **اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ:** تَسْمِيَةُ تِلْكَ اَلدَّعْوَةِ «عِبَادَةً» لِلْمَدْعُوِّ.
- **اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ:** كُفْرُ اَلْمَدْعُوِّ بِتِلْكَ اَلْعِبَادَةِ.
- **اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ:** أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ هِيَ سَبَبُ كَوْنِهِ أَضَلَّ اَلنَّاسِ.
- **اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ:** تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ اَلْخَامِسَةِ.
- **اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ:** اَلْأَمْرُ اَلْعَجِيبُ، وَهُوَ إِقْرَارُ عَبْدَةِ اَلْأَوْثَانِ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ اَلْمُضْطَرَّ إِلَّا اَللهِ؛ وَلِأَجْلِ هَذَا يَدْعُونَهُ فِي اَلشَّدَائِدِ مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ.

الشرح

هذا من أعجب الأمور؛ أنَّ المشركِين في زمن نزول الوحي في زمن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- كانوا يدعُون غير الله في حال الرخاء: يا هُبَل... يا لات... يا مناة... يا عُزَّى...

لكن إذا أصابتهم الشدائد المُدلهِمَّة خرجَتْ من قلوبهم أو أخرجَتْ الشدائد من قلوبهم كل وثنٍ وصنم، صاروا لا يقولون إلَّا: يا الله.

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]

يقول الشيخ شيخ مشايخنا الشيخ تقيّ الدِّين الهلالي المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: ركِبتُ مرة البحر -ولا أدري الآن -الخطأ مني- هل كان متوجِّهًا إلى الحج أو العُمرة، أو إلى مكانٍ آخر؛ لأنَّه كان رُحلاء، عظيم الرحلة، كثير الارتحال-، فهاجَتْ الرياح وماجَتْ السفينة. يقول: كنتُ في أسفل السفينة فصعدتُ في أعلاها لأَرَى ما الذي يجرِي؟ قال: وإذا بالأمواج متلاطمة، والبحر مُظلِمٌ لا يكاد يرَى أحدنا صح.

يقول: وإذا بي أسمع الاستغاثات لغير الله وكأنِّي لم أكن مع المسلمِين، هذا يُنادي العَيْداروس، وهذا يُنادِي كذا. يقول: فما كان منِّي إلَّا أن رفعتُ يديَّ فقلتُ: اللهمَّ إن كُنتَ كتبْتَ لهم النجاة فلا تُنجِيني. من شدة غيرته على التوحيد غضبًا لله عَزَّوَجَلَّ. يقول: بعدين تكسَّرَتْ السفينة، فلما أفقت قال: إذا أنا بأحد السواحل فأخذُوني، قالوا: غرقَتْ كلُّ أهل السفينة إلَّا أنت. هذه من كرامات الله عَزَّوَجَلَّ.

فتأمَّل! مشركِين الأوائل في حال الشِّدَّة ما يقولون: يا جيزوس. يقولون: الله (O my god) بس؛ مُشركِين هذا الزمان حتى في حال الشِّدَّة يدعُون غير الله. نسأل الله السلامة والعافية.

المتن

- **اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ:** حِمَايَةُ اَلْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ وَالتَّأَدُّبُ مَعَ اَللهِ عَزَّوَجَلَّ.

الشرح

يعني: قوله: (**إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي**)؛ مع الله، كيف تأدُّب مع الله؟

لأنَّ الاستغاثة حقُّ الله؛ فلا ينبغِي أن نصرِف اللفظ لغير الله عَزَّوَجَلَّ. واضح؟

المتن

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابُ قَوْلِ اَللهِ تَعَالَى:

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢] اَلْآيَة.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ [فاطر: ١٣] اَلْآيَة.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟ فَنَزَلَتْ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

وَفِيهِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا**» بَعْدَمَا يَقُولُ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ... رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ؛ فَنَزَلَتْ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]؛ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اِشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِ عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**».

الشرح

ثم أورَدَ هذا الباب وبوَّبه بالآية **بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى**: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾؛ فيكون هذا الباب من باب تفسِير شناعة دعاء غير الله في الباب الذي سبَق؛ يعني: كأنَّ قائلًا قال: لماذا كان أشدُّ ضلالةً دعاء غير الله؟ فجاء الجواب في هذا الباب ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

إذًا... هذا تفسير لماذا كان دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله أضلَّ شيءٍ؟ فبوَّبَ بالآية التي في «سورة الأعراف» ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾؟

وهذه الآية عامة في أي نوعٍ من أنواع الشِّرْك المزعومة، فيصحُّ انطباقه على فِعل كل مُشرِك، فيُقال لكلِّ مُشركٍ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾؟ لأنَّ المُشرِك لو اعتقَدَ وجود ربَّيْن خالقَيْن ما صار مُشرك، لو اعتقَدَ وجود ربَّيْن خالقَيْن متساويَيْن صار من الثانوية الكُفَّار، وهذه أحد الفروقات بين الكُفَّار وبين المُشركِين، وإن كان عند الإطلاق فإنَّ كلمة الشِّرْك يدخُل فيه الكُفر، وكلمة الكُفر يدخُل فيه الشِّرْك؛ لكن إذا ذُكِرَا معًا فبين الكُفر والشِّرك فَرْق:

- الكُفْر غالبًا يُطلَق على الجَحْد والإنكار.

- والشِّرْك غالبًا ما يُطلَق على صَرْف العبادة لغير الله.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴿١٩١﴾﴾؟ أي: أيعبدُون، هذا معنى «يُشركُون»: يعبدُون، يصرفُون العبادة لِـ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴿١٩١﴾﴾

فلو سألنا هؤلاء: الصنم يخلُق؟ يقول: لا.

الوثن يخلُق؟ يقول: لا.

مَن الذي يخلُق؟ الله.

فجاء الإنكار عليهم من الله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾؟

فإن كابَروا وقالوا: لا، هذه تخلُق مع الله. وَقَعوا في الكُفر (كُفر الثانوية)؛ فيَرِدْ عليهم سؤال: هل هُم مخلوقون أو ليسوا بمخلوقِين؟

فإن قالوا: ليسوا بمخلوقِين. وقعوا في المُكابَرة؛ لأنَّ فرعون يعلم أنَّه وُجِدَ بعد أن لم يكن، وله أبٌ وأُمٌّ قبله؛ فوَقَعَ في مُكابرة فرعونية.

وإن قال: لا، هُم مخلوقون. إذًا كيف تدعُو مخلوقًا؟!

فكل صنمٍ أو وثنٍ هو لا يخلُق، وهو مخلوق؛ فاجتمَعَ في كلِّ مدعُوٍّ غير الله وَصْفان ناقصان، بهما لا يستحقَّان الدعاء والاستغاثة:

➢ **الوصف الأول**: أنَّهم لا يستطيعُون فِعل شيءٍ، لا يخلقون شيئًا، لا يستطيعُون فِعل شيءٍ من خصائص الربوبيَّة التي من أعظمها الخَلْق والإيجاد، والرزق والمُلْك والتدبير، والاستغاثة داخلة في المُلْك والتدبير. واضح؟

➢ **الصفة الثانية الذميمة الدالَّة على نُقصانهم**: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴿١٩١﴾﴾؛ هُم مخلوقون.

ثم ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴿١٩٢﴾﴾؛ يعني: لا يستطيعون أن ينصروا الذين يدعُونهم، ولا يستطيعُون أن ينصروا أنفُسهم.

ولذلك لو سألنا هؤلاء: أنتم كيف تدعُون عيسى، وعيسى بزَعْمكم صُلِبَ وقُتِل، الذي صُلِب وقُتِل ما قَدِر يدفع عن نفسه؛ كيف تدعونه؟!

نقول لهؤلاء الذين تدعُون الحُسين: الحُسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ورَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قُتِل، ما استطاع أن يدفع القَتْل عن نفسه؛ كيف تدعُونه؟! أجيبوا!

كيف تدعُون النبي ﷺ وهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قُتِلَ عمُّه في غزوة أُحُد، وسبعون من أصحابه، وكُسِرَتْ رَباعيَّته، وشُجَّ وجهه، وهُجِّرَ من أرضه، وضُرِبَ أصحابه؛ كيف؟! يعني هذه قضية مهمة!

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴿١٩٢﴾﴾؛ تأمَّل هذه القضية العظيمة!

طيب... إذا كان ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴿١٩٢﴾﴾؛ ما هُم قادِرين ينصرُون أنفُسهم؛ كيف تدعُونهم؟! هذا سؤال قائم لا يستطيعون الإجابة عنه.

وإذا كمَّلنا الآية، شوفوا الآية اللي بعدها، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾؛ يعني: أنتم الآن لو رحتم عند المقبُورِين اللي تدعُونهم قُل لهم: تعالوا عندنا وليمة. تعالوا عندنا قضية حلُّوها لنا. ما راح يجونكم، ما يقدرون.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴿١٩٣﴾﴾؛ ما راح يختلف الأمر عندهم، طلبتُم منهم شيء، ما طلبتُم؛ هُم ما يدعُون عنكم شيء.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾؛ عبد ذليل كيف تعبُده؟! عبد فقير كيف تطلُبه؟!

﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ ﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾؛ هنا الأمر أمر يسمَّى «تهكُّم، تسفِيه».

﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴿١٩٤﴾﴾

ثم بيَّن ضَعْفها وعَجْزها؛ ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾؛ هُم ما هُم قادِرين يمشُون، يا أموات، يا جمادات!

﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ أموات، جمادات؛ كيف يبطشُون؟!

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ﴾ يعني: هذه الأشياء لو وُجِدَتْ فيمَن هو معكم كُنتَ تقدر تقول له: تعال يا فلان عاوِنِّي، خُذ السيف وقاتل معي الكُفَّار.

تقدر؛ لكن حتى هذه الأشياء مسلوبة عن الجمادات وعن الموات.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

الآية اللي بعدها ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

رجع مرة ثانية إلى المدعوِّين من دون الله.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾؛ تأكيد للأمر الأول.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾؛ ميت أمامك فاتح عيونه (٠١:٠٩:٢٠) يطالعك، أنت تظنُّ أنَّه يشوفك؛ هو ما يقدر يشوفك، ولَّا صنم أنت حطِّيت له عيون يطالعك.

﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ١٩٨﴾

إذًا... لا شيء أضلَّ من هذا ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ١٩١﴾؛ هذا الاستفهام إنكاري توبيخي؛ لأنَّ الاستفهام:

- إمَّا أن يكون إنكارًا وتوبيخًا.
- وإمَّا أن يكون إقرارًا وتقريرًا.

ثم أورَدَ آية «فاطر» ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ١٣﴾؛ الله! سبحان الله! وربِّ الكعبة أنَّ الإنسان لمَّا يتأمَّل في معاني القرآن، حتى لو كان عاجز بلاغةً يتأمَّل في معاني القرآن يعلم أنَّ كلام الله.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ١٣﴾؛ القاعدة المضطردة أنَّ الإنسان يدعو مَن؟ هنا يأتي سؤال: أنت في العادة تدعُو مَن؟ هذه مسألة مهمة!

في العادة المضطردة أنَّ الإنسان يدعُو مَن يملِك. هذه قضية مهمة! يدعو مَن يملِك؛ ومَن لا يملِك؟ لا يُدعَى؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ١٣﴾.

القِطمِير: غشاوة على حبة نواة التمر لا تكاد تراها إلَّا نادرًا من رِقَّتها وفتاتها، وربَّما أحيانًا تكون وأنت تأكُل تبقى على النواة، وأحيانًا تذهب مع التمرة.

هذا هو القطمِير، هذا الشيء الحقير اليسير الذي لا يُبالَى به لا يملكه أحد إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ﴾، تكملة الآية ﴿لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾؛ قلنا: «لو» هذه أيش؟ فرضًا، تنزُّلًا، مناظرةً، ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾

إذًا... هذه الآية أيضًا واضحة الدِّلالة على قَباحة الشِّرك في العبادة؛ ليش؟ ليش الشرك قبيح في العبادة؟

لأنَّه يَلزَم منه الشِّرْك في الربوبيَّة، والشِّرْك في الربوبيَّة منتفية فِطرةً وعقلًا وشرعًا وواقعًا؛ فكيف إذًا تصرفُون العبادات لغير الله تعالى؟!

أورَدَ المصنِّف تحت هذا الباب ثلاثة أحاديث:

الأول: حديث أنس (**شُجَّ اَلنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ**)؛ قِيل: شُجَّ في وجهه، يعني: أصابته سهمٌ في وجهه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(**وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ**)؛ بفتح الراء، الرَّباعيَّة هي: الأسنان التي تكون بين الثنايا وبين الناب، لكل إنسان أربعة رَباعيَّات، رباعيَّتان من أعلَى ورَباعيَّتان من أسفل؛ السِّن الذي يكون بين الثنايا وبين الناي تسمَّى «رَباعيَّة».

(كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ)؛ أُصِيب بسهمٍ أو بأثر صخرةٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(فَقَالَ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟)؛ وهذا الاستفهام في محلِّه منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يعني: الإضرار بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عظيمة.

فَنَزَلَتْ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾؛ يا الله! شيء عجيب! هذا سيد الخَلْق، أكرم المخلوقات على الله عَزَّوَجَلَّ، وأفضل المخلوقات على الإطلاق، وسيد الأولِين والآخرِين، صاحب المقام المحمود والحوض المورُود واللواء المعقود، الشفاعة العُظمَى، صاحب الدرجة والوسيلة، والدرجة الرفيعة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول الله له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾؛ كمِّل الآية ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾؛ هذا مو إليك؛ هذا أفعال الرب، أنت شنو وظيفتك؟ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ وهذه الآية فيها دلالة أن يا عبد الله، لا تدخُل في الأحكام على المُعيَّن، إيَّاك! احذَر أن تحكُم على المُعيَّن، في النار في الجنة، ضال مُضِلّ، مبتدع فاسق؛ في المعيَّن انتبه! هذا ليس إليك، ما جعلك الله قاضيًا ولا مُفتيًا ولا حاكمًا؛ قُل: الحمد لله. هذا إلى الله الأحكام على المُعيَّن.

(كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟)؛ الخطاب لمَن؟ للمُشركِين في غزوة أُحُد.

فقال الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿أَوْ﴾؛ هنا للتنويع؛ يعني: سيتوب الله على بعضهم فيُسلِمون، مثل مَن؟

قائد المعركة مَن؟ أبو سُفيان.

ميمنة المعركة مَن؟ خالد بن الوليد.

ميسرة المشركِين مَن؟ عِكرمة.

كلُّهم أسلموا.

﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾؛ في ناس منهم ماتوا على الشِّرك.

﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾؛ يا الله! الأمر لله عَزَّوَجَلَّ.

هذا يدلُّ إذا كان أكرم الخَلْق ليس له من الأمر شيء؛ فمَن دونه من باب أَوْلَى أنَّه ليس له شيء. هذه قضايا مهمة.

ثم أورَدَ حديث ابن عُمر وهو في الصحيح أيضًا: (**أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اَللهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ اَلرُّكُوعِ فِي اَلرَّكْعَةِ اَلْأَخِيرَةِ مِنَ اَلْفَجْرِ**)؛ يعني: دعاء النَّازلة، وقنوت النوازل سُنَّة؛ لكن يكون بأمر وليِّ الأمر، مو كل إمام على كيفه يدعو متى شاء ويسكت متى شاء.

قال: (**اَللَّهُمَّ اِلْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا**)؛ فلان وفلان مُعيَّنِين ولَّا لا؟ مُعيَّنِين. شوف لمَّا جاء الحُكم المُعيَّن ماذا قال الله؟ قال: («**اَللَّهُمَّ اِلْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا**» **بَعْدَمَا**

يَقُولُ: «سَمِعَ اَللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ... رَبَّنَا وَلَكَ اَلْحَمْدُ»؛ كما يفعل المسلمون اليوم في دعاء النوازل.

فَأَنْزَلَ اَللهُ تَعَالَى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾؛ يا الله!

(وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ)؛ هؤلاء الثلاثة مُعيَّنِين ولَّا لا؟ وهؤلاء الثلاثة كلُّهم أسلموا:

(سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو)؛ أسلَم حتى إنَّ الناس لمَّا ارتدُّوا كان هو سببًا في تثبيت أهل مكة وأهل الطائف.

قال: فَنَزَلَتْ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾؛ وهذا فيه دلالة على تعدُّد نزول الآية لتعدُّد الأسباب.

قال: (وَفِيهِ)؛ يعني: في الصحيح في [البُخاري ومسلم].

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اَللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾؛ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اِشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اَللهِ شَيْئًا)؛ مَن أقرب الناس إليه؟ قُريش؛ فهو يقول لأقربائه: لا أستطيع أن أُغنِي عنكم من الله شيئًا.

ثم خصَّ (يَا عَبَّاسُ)؛ وهو عمُّ النبي ﷺ.

(يَا صَفِيَّةُ)؛ عمَّة رسول الله.

(يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ).

(لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اَللهِ شَيْئًا)؛ تبُون أعطِيكم شيء من عندي، من مالي... ممكن؛ أمَّا أُغنِي عنكم من الله شيئًا لا أستطيع؛ لماذا؟ لأنَّ هذه من خصائص الربوبيَّة، والنجاة عند الله بالألوهيَّة، فمَن لم يأتِ بالألوهيَّة ولو كان أقرب الأقربين للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كمَن؟ كأبي لهب فـ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ١-٢]؛ ويدخُل في معنى ﴿وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾؛ يعني: عمومته للنبي ﷺ.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

إذًا دلَّ على أنَّ صَرْف العبادة لغير الله دعاءً أو استغاثة شِركٌ عظيم لأنَّه لا أحد يملِك مع الله شيئًا، الأمر لله من قبل ومن بعد.

المتن

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ**:

- **اَلْأُولَى**: تَفْسِيرُ اَلْآيَتَيْنِ.
- **اَلثَّانِيَةُ**: قِصَّةُ أُحُدٍ.
- **اَلثَّالِثَةُ**: قُنُوتُ سَيِّدُ اَلْمُرْسَلِينَ، وَخَلْفَهُ سَادَاتُ اَلْأَوْلِيَاءِ يُؤَمِّنُونَ فِي

اَلصَّلَاةِ.

- **اَلرَّابِعَةُ**: أَنَّ اَلْمَدْعُوَّ عَلَيْهِمْ كُفَّارٌ.

الشرح

ومع هذا لمَّا كان الدعاء بالمُعيَّنين نُهِيَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. واضح؟ يعني: لو قال لك قائل: ما وجه نَهْي الدعاء عليهم؟ لأنَّهم مُعيَّنين.

ومن هنا نُدرك خطأ بعض المُصلِّين أو الأئمَّة لمَّا يدعُون؛ شنو يقولون مثلًا؟ يقولون: اللهمَّ عليك باليهود. هذا غلط؛ الصواب: أن يخصُّوا فيقولون: اللهمَّ عليك باليهود الغاصبِين... اللهمَّ عليك باليهود المُعتدِين. ليش؟ لأنَّ جنس اليهود لا يمكن إبادتهم بالكليَّة إلى قيام الساعة بخبر الله، فأنت تدعو بدعاء يُضادُّ خبر الله.

كما لو أنَّ جاء إنسان وقال: اللهمَّ أهلِك الكافِرين. هذا ما يمكن؛ لأنَّ الله أخبَر أنَّ الكفَّار سيبقون إلى قيام الساعة؛ فكيف تدعو بدعاء يُضادُّ خبر الله؟ فكيف تدعو إذًا؟

تقول: اللهمَّ عليك بالنصارَى الظالمِين.... اللهمَّ عليك بالكُفَّار المُعانِدين. ونحو ذلك.

المتن

- **اَلْخَامِسَةُ**: أَنَّهُمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ لَا يَفْعَلُهَا غَالِبُ اَلْكُفَّارِ:
  - **مِنْهَا**: شَجُّهُمْ نَبِيَّهُمْ، وَحِرْصُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ.
  - **وَمِنْهَا**: اَلتَّمْثِيلُ بِالْقَتْلَى، مَعَ أَنَّهُمْ بَنُو عَمِّهِمْ.
- **اَلسَّادِسَةُ**: أَنْزَلَ اَللهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾
- **اَلسَّابِعَةُ**: قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾؛ فَتَابَ عَلَيْهِمْ وَآمَنُوا.
- **اَلثَّامِنَةُ**: اَلْقُنُوتُ فِي اَلنَّوَازِلِ.
- **اَلتَّاسِعَةُ**: تَسْمِيَةُ اَلْمَدْعُوِّ عَلَيْهِمْ فِي اَلصَّلَاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ.

الشرح

يعني: أنَّ ذلك لم يُبطل الصلاة، وهذا فيه دلالة على صحة قول الجمهور: أنَّ ذِكْر اسم إنسانٍ ما في الصلاة لحاجة كالدعاء له أو الدعاء عليه لا يُبطل الصلاة.

المتن

- **اَلْعَاشِرَةُ**: لَعْنُهُ اَلْمُعَيَّنَ فِي اَلْقُنُوتِ.
- **اَلْحَادِيَةَ عَشْرَةَ**: قِصَّتُهُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.
- **اَلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ**: جِدُّهُ ﷺ فِي هَذَا اَلْأَمْرِ، بِحَيْثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى اَلْجُنُونِ، وَكَذَلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ اَلْآنَ.

الشرح

الله أكبر! النبي ﷺ جَدَّ في الأمر بالتوحيد، وفي بيان بُطلان شِرك المُشركِين، لو فعلَه الإنسان اليوم لاتُّهِمَ بالجنون والسَّفَه والتشدُّد و... و.. إلى آخره.

المتن

- **اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ:** قَوْلُهُ ﷺ لِلْأَبْعَدِ وَالْأَقْرَبِ: «**لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اَللهِ شَيْئًا**» حَتَّى قَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اَللهِ شَيْئًا**»؛ فَإِذَا صَرَّحَ ﷺ أَنَّهُ -وَهُوَ سَيِّدُ اَلْمُرْسَلِينَ- لَا يُغْنِي شَيْئًا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ اَلْعَالَمِينَ، وَآمَنَ اَلْإِنْسَانُ أَنَّهُ ﷺ لَا يَقُولُ إِلَّا اَلْحَقَّ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ اَلنَّاسِ الْآنَ؛ تَبَيَّنَ لَهُ اَلتَّوْحِيدِ وَغُرْبَةُ اَلدِّينِ.

الشرح

الله أكبر! النبي سيد الخَلْق ويقول لسيدة نساء العالمِين: أنَّه لو لم يؤمن لَمَا استطاع أن يُغنِي عنهم شيء. فكيف بمَن يزعُم؟!

والله سمعتُ بأُذُني يقول أحد مَن يدَّعِي الولاية والسيادة يقول: أنا الولي، فإذا لم أستطع أن أُفيد مُريدي؛ فأيُّ فائدةٍ لي. أعوذ بالله! نسأل الله السلامة والعافية!

والآخر يقول -وهذا سمعته بواسطة الأشرطة- في خطبة الجُمعة يقول: إنَّ فلانٌ مات. وهو يعرف الولي؛ فلا يضُرُّه إن لم يعرف الله العلي. يلَّلا (٠١:٢٣:٢٥). والله شِرك ما قاله المشركوا الأوائل.

المتن

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابُ قَوْلِ اَللهُ تَعَالَى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]

فِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اَللهُ اَلْأَمْرَ فِي اَلسَّمَاءِ؛ ضَرَبَتِ اَلْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾؛ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَيَسْمَعُ اَلْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا اَلْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ اَلسَّاحِرِ أَوْ اَلْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ اَلشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا،

وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنْ السَّمَاءِ».

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ؛ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ؛ أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ -أَوْ قَالَ: رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ- خَوْفًا مِنْ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ؛ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ، سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. قَالَ: فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ».

الشرح

هذا الباب أورده الإمام للتأكيد على شُبُهات المشركِين؛ فإنَّهم يقولون: نحن ندعو أُناسًا لهم مكانة ومنزلة عند الله، ما ندعو جمادات، ولا ندعو صُلبان، ولا ندعو غيران؛ مع أنَّ الحال أنَّهم يدعُون القبور.

فالإمام أورَدَ الباب لبيان أنَّ الملائكة الذين مكانتهم عالية ومنزلتهم رفيعة هُم يخافون من الله، وليس لهم شيء من أمور الربوبيَّة؛ فكيف بمَن دونهم؟ واضح هذا؟

يعني: هذا الباب لتأكيد تصرُّف الملك الوهَّاب جَلَّوَعَلَا وحده في الخلائق.

بَابُ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾؛ في النُّسخة اللي عندنا مال الدكتور دَغَش كلمة ﴿حَتَّىٰٓ﴾ سقطَتْ؛ أضِيفوها قبل الآية في الباب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾؛ أضِيفوا كلمة ﴿حَتَّىٰٓ﴾.

وهنا الخطاب مع الملائكة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: ارتفَعَ الخوف عن قلوبهم بعد مخاطبة الله لهم.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: الملائكة بعضهم لبعضٍ.

﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ﴾؛ أي: حينما تكلَّم.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: بعضهم لبعض.

﴿ٱلْحَقَّۖ﴾؛ يعني: قوله قال الحقَّ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

الملائكة يخافون من الله؛ فكيف إذًا يُدعَوْن مع الله عَزَّوَجَلَّ؟ هذا هو المقصود من هذا الباب، الملائكة يدعُون الله جَلَّوَعَلَا.

أورَدَ تحت هذا الباب حديثين:

الأول: حديث أبي هريرة، وفيه: (**إِذَا قَضَى اَللهُ اَلْأَمْرَ فِي اَلسَّمَاءِ**). (**قَضَى اَللهُ اَلْأَمْرَ فِي اَلسَّمَاءِ**)؛ أي: بقوله: «كُنْ»، أو بقوله القولي أو الشرعي؛ أيًّا كان، فقوله: (**قَضَى اَللهُ اَلْأَمْرَ فِي اَلسَّمَاءِ**). (**الْأَمْرَ**)؛ يشمل الأمر الكوني، أو الأمر الشرعي.

و(**قَضَى**)؛ بمعنى: حَكَم.

(**ضَرَبَتِ اَلْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ**)؛ أي: أنَّها أظهَرَتْ التواضُع، وصارَتْ الملائكة تضرب بأجنحتها.

(**كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ**). (**كَأَنَّهُ**)؛ الصحيح من أقوال أهل العلم: أنَّ الضمير يرجع إلى صوت أجنحة الملائكة.

وقال بعض الشُّرَّاح: (**كَأَنَّهُ**)؛ أي: كلام الله، (**سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ**)؛ فيسمعون صوت سلسلةٍ على صفوان، من باب تحقيق الخطاب بأنه بصوت وليس من باب التشبيه، وهذا أمر وارد؛ فإنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ رَبَّكُمْ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**» وأشار بالسبَّابة على عَيْنه، وبالإبهام على سَمْعه؛ لتحقيق أنَّه يسمع ويُبصر وليس بالتشبيه؛ فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

(**كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ**)؛ السلسلة إذا جررتها على صفوان؛ ما معنى (**صَفْوَانٍ**)؟ الحجر الأملس، اللي إحنا نسمِّيه اليوم الرُّخام أو السيراميك، إذا جرَتْ سلسلة على السيراميك أو على الرخام تسمع له صوت معيَّن؛ فهكذا كان صوت الملائكة وهي تضرب بأجنحتها.

(**خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى).

أو (**كَأَنَّهُ**)؛ أي: كأنَّ قول الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى (**سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ**)؛ والكاف هنا للتقريب وليس للتشبيه.

قال: (**يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ**)؛ ما معنى (**يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ**)؟ أي: يسمع هذا الصوت كل الملائكة؛ هذا معنى (**يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ**). (**يَنْفُذُهُمْ**)؛ يعني: يخرِق سَمْعهم، يصِلُ إلى أسماعهم كلِّهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾؛ ارتفَعَ الخوف عن قلوبهم.

﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

(**فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ**)؛ دلَّ على أنَّ الجِنَّ الشياطِين الذين يسرقون السمع موجودون في السماء الدنيا فيسمعون كلام بعض الملائكة.

(**فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ**)؛ يعني: مسترق السمع بعضهم فوق بعض، يعني: يركبُون، يعني: يكون بعضهم فوق بعض.

قال هكذا: (**بِكَفِّهِ، فَحَرَّفَهَا**)؛ **الكفُّ**: الأصل هكذا، (**حَرَّفَهَا**)؛ يعني: هكذا.

(**وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**)؛ هكذا، يعني: بعضهم فوق بعضٍ هكذا حتى يصلُ إلى السماء. عرفتُم؟

هذا الكف (**حَرَّفَهَا**)؛ يعني: هكذا، هذا التحريف.

(**وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**)؛ يعني: هكذا، فصارَتْ هكذا بعضهم فوق بعض.

(**فَيَسْمَعُ اَلْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا اَلْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ اَلسَّاحِرِ**)؛ يعني: تواصُل الإرسال بين بعضهم بعضًا.

(**أَوْ اَلْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ اَلشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا**)؛ إذًا الشِّهاب هذا لرَمْي الشياطِين.

(**وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**). (**كَذْبَةٌ**)؛ من حيث العدد.

أمَّا «الكِذْبة» فهي الهَيْئة؛ ولذلك الصواب (**كَذْبَةٌ**).

(فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ اَلْكَلِمَةِ اَلَّتِي سُمِعَتْ مِنْ اَلسَّمَاءِ).

وحديث النوَّاس في نفس المعنى، وفيه:

دلالة أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يتكلَّم.

وأنَّ الملائكة تُصعَق وتخِرُّ سُجَّدًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأنَّ أول مَن يرفع صوته جبريل ثم الملائكة.

فإذا كان حال الملائكة مع الربِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فكيف بحال مَن سِواهم؟!

فإذا كانت الملائكة تخاف الله عَزَّوَجَلَّ وليس لهم من الأمر شيء؛ فكيف بمَن دونهم؟!

ولهذا ينبغي للإنسان أن يعرف أنَّه لا أحد يستحقّ العبادة، حتى لو كان مَلَكًا مقرَّبًا أو نبيًّا مُرسلًا.

حديث أبي هريرة وحديث النوَّاس بن سَمعان فيهما دِلاة على أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتكلَّم بصوته، وهذا جاء في آخر كتاب [**صحيح البخاري**]؛ ما هو؟ كتاب [**التوحيد**]، وفيه بابٌ أنَّ الله يتكلَّم بصوت.

المتن

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ**:

- **اَلْأُولَى**: تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ.
- **اَلثَّانِيَةُ**: مَا فِيهَا مِنَ اَلْحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ اَلشِّرْكِ، خُصُوصًا مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى اَلصَّالِحِينَ، وَهِيَ اَلْآيَةُ اَلَّتِي قِيلَ إِنَّهَا تَقْطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ اَلشِّرْكِ مِنَ اَلْقَلْبِ.

الشرح

طبعًا الآية التي قبلها هي قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. الآية؛ هذه الآية والتي بعدها سمَّاها ابن القيِّم «الآية القالعة لعروق الشِّرك»؛ كيف هذه الآية قالعة لعروق الشِّرك؟ نأخُذ المسائل، إذا بَقِيَ وقت نُفسِّرها، ما بَقِيَ وقت ذَكِّروني السبت القادم.

المتن

- **اَلثَّالِثَةُ**: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾
- **اَلرَّابِعَةُ**: سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ.
- **اَلْخَامِسَةُ**: أَنَّ جِبْرِيلَ يُجِيبُهُمْ بِقَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ: «**قَالَ كَذَا وَكَذَا**».
- **اَلسَّادِسَةُ**: ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ.
- **اَلسَّابِعَةُ**: أَنَّهُ يَقُولُ لِأَهْلِ اَلسَّمَوَاتِ كُلِّهِمْ لِأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ.
- **اَلثَّامِنَةُ**: أَنَّ اَلْغَشْيَ يَعُمُّ أَهْلَ اَلسَّمَاوَاتِ كُلَّهُمْ.

- **اَلتَّاسِعَةُ**: اِرْتِجَافُ اَلسَّمَاوَاتِ لِكَلَامِ اَللهِ تَعَالَى.
- **اَلْعَاشِرَةُ**: أَنَّ جِبْرِيلَ هُوَ اَلَّذِي يَنْتَهِي بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اَللهُ.
- **الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ**: ذِكْرُ اِسْتِرَاقِ اَلشَّيَاطِينِ.
- **اَلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ**: صِفَةُ رُكُوبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.
- **اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ**: سَبَبُ إِرْسَالُ اَلشُّهُبِ.
- **اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ**: أَنَّهُ تَارَةً يُدْرِكُهُ اَلشِّهَابُ قَبْلِ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَتَارَةً يُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ اَلْإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ.

الشرح

طبعًا هذا لا يُشكِل عليك ما يقوله بعض علماء الفلك اليوم من أنَّ الشِّهاب إنَّما يتحرَّك لكذا وكذا؛ فهُم إنَّما يتكلَّمون عن الأسباب التي هي مبنيَّة على قياسات العلميَّة؛ أمَّا نحن فنتكلَّم عن الوحي.

مثل الآن؛ الطبيب سيكتب الآن، الطبيب في شهادة الوفاة ماذا سيكتُب؟ سبب الوفاة توقُّفٌ مفاجئٌ في القلب. صح؟

طيب... إحنا شنو نقول؟ نقول: سبب الوفاة انتهاء الأجل.

في فَرْق بيننا وبينهم، ما لنا علاقة فيهم. واضح ولَّا لا؟

لكن ما يتعارَض هذا مع هذا.

المتن

- **اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ:** كَوْنُ اَلْكَاهِنِ يَصْدُقُ بَعْضَ اَلْأَحْيَانِ.
- **اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ:** كَوْنُهُ يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ.
- **اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ:** أَنَّهُ لَمْ يَصْدُقْ كَذِبَهُ إِلَّا بِتِلْكَ اَلْكَلِمَةِ اَلَّتِي سُمِعَتْ مِنْ اَلسَّمَاءِ.
- **اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ:** قَبُولُ اَلنُّفُوسُ لِلْبَاطِلِ، كَيْفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ؟

الشرح

الصواب -والله أعلم-: (**أَنَّهُ لَمْ يُصَدَّقْ كَذِبُهُ إِلَّا بِتِلْكَ اَلْكَلِمَةِ**). واضح؟ يعني: الناس ليش صدَّقوا كَذِبَه؟ لأنَّه فيه كلمة واحدة قالها حقّ.

مثل الكاهن الحين يجيبونه في كل عام سنة هجريَّة ولَّا ميلاديَّة يجيبون كاهن، شو راح يصير في عام ٢٠٢٣؟ يقول ويقول، ويخرِّف يخرِّف، واحدة طلعت صح؛ قال: أيوة قالها فلان. فهمتم؟ هذا معناه (**أَنَّهُ لَمْ يُصَدَّقْ كَذِبُهُ إِلَّا بِتِلْكَ اَلْكَلِمَةِ**).

المتن

- كَيْفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلَا يُعْتَبَرُونَ بِمِائَةِ كَذْبَةٍ؟

- **اَلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ:** كَوْنُهُمْ يُلْقِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ تِلْكَ اَلْكَلِمَةَ وَيَحْفَظُونَهَا وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا.
- **اَلْعِشْرُونَ:** إِثْبَاتُ اَلصِّفَاتِ خِلَافًا لِلْمُعَطِّلَةِ.
- **اَلْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ:** اَلتَّصْرِيحُ بِأَنَّ تِلْكَ اَلرَّجْفَةَ وَالْغَشْيَ خَوْفًا مِنْ اَللهِ عَزَّوَجَلَّ.
- **اَلثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ:** أَنَّهُمْ يَخِرُّونَ لِلَّهِ سُجَّدًا.

الشرح

نأتي للآية القالعة لجذور الشِّرك، أفسِّر لكم الآية بالمثال؛ فإنَّ المثال يُقرِّب المقال.

تأمَّلوا معي! أنت تسمع إنسان يقول لك: راح فلان عند صاحب الشركة يطلب منه. يقول: صح، ما دام هو مالِك الشركة فيُطلَب منه.

قالوا له: لا؛ مالِك الشركة ما كان موجود. راح عند منو؟

راح عند شريكه. قال: لا، الشركة ما لها شريك.

يروح عند مَن؟ يروح عند اللي يدريه (مدير الشركة).

قال: لا والله، حتى المدير ما في مدير، صاحب الشركة هو اللي يدير.

قال: ها، ما دام ما في مدير فما لي حلّ إلَّا أنِّي أشوف لي أحد يشفع لي.

فراح عند فلان قال: اشفع لي عند فلان عشان ينزِّل لي من قِيمة السيارة.

هذه هي الطريقة الصحيحة للطلب من الشركاء.

أمَّا الآية القالعة لجذور الشِّرك ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ الآن هؤلاء الذين زعموا أنَّهم شُركاء ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾؛ إذًا لا يملكون.

طيب... شريك! ليس لله شريك.

طيب... ظهِير -يعني: مدير-! ما عنده مدير.

الأمر كله بيده جَلَّوَعَلَا، ما بقي إلَّا شُفعاء؛ فقال أيش؟ ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾؛ فانتهَى الشِّرْك، ما في إلَّا أنَّك تطلب من الله الذي بيده المُلك، وهو وحده يملِك مُلْك الدنيا فلا شريك له، وهو وحده يُدبِّر أمر الدنيا فلا شريك له، والشُّفعاء لا يشفعُون إلَّا بإذنه؛ فليس لك إلَّا أن تطلُب منه؛ لأنَّ الشفيع إذا كان ما يشفَع إلَّا بإذنه شو الفائدة من ذهابك إلى الشفعاء؟! ما في فائدة.

سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلَّا أنتَ، أستغفركَ وأتوب إليك.